لتدعوا الله ان يفرق جمع الامم الى حيث شاء لعظم ما هم فيه فافادت هذه
الرواية تعيين موقف النبي صلى الله عليه وسلم حينئذ وان هذا الذي وصف
من كلام اهل الموقف كله يقع عند نصب الصراط بعد تساقط الكفار في النار
وان عيسى هو الذي يخاطب نبينا صلى الله عليه وسلم وان جميع الانبياء يسألونه
في ذلك • وفي حديث سلمان عند ابن ابي شيبة يأتون محمدا فيقولون يا نبي
الله انت فتح الله بك وختم وغفر الله لك ما تقدم وما تاخر وجيء في هذا
اليوم وترى ما نحن فيه فقم فاشفع لنا الى ربك • فيقول انا صاحبكم فيجوس
الناس حتى يسلم الى باب الجنة فان قلت ما الحكمة في انتقاله صلى الله عليه
وسلم من مكانه الى الجنة اجيب بان ارض الموقف لما كانت مقام عرض وحساب
كانت مكان مخافة واشفاق ومقام الشافع ينبغي ان يكون في مكان اكرام
وفي حديث ابي بن كعب عند ابن يعلى رفعه فاسجد سجدة يرضى لها عني
وفي حديث ابي بكر الصديق فينطلق به جبريل فيخر ساجدا قدر جمعة
فيقال يا محمد ارفع رأسك • وفي رواية المصنف ان الله فاوحى الله جبريل ان
اذهب الى محمد فقل له ارفع رأسك وعلى هذا فالمعنى يقول لي على لسان جبريل
والظاهر انه صلى الله عليه وسلم يلهم التحميد قبل سجوده وبعده وفيه فيكون
في كل مكان ما يليق به فانه ورد في رواية فاقوم بين يديه فيلهمني محامد
لا اقدر عليها الآن فاخر ساجدا • وفي رواية البخاري فادفع رأسي واحمد ربي
بتحميد يعلمنيه • وفي رواية ابي هريرة عند الشيخين فاذا في تحت العرش وقع
ساجدا لربي ثم يفتح الله على من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتح
على احد قبلي ثم قال يا محمد ارفع رأسك الحديث • وفي رواية البخاري من
حديث قتادة عن انس ثم اشفع فيحد لي حدا ثم اخرجهم من النار وادخلهم
الجنة قال الطيبي اي يبين لكل طور من اطوار الشفاعة حدا اقف عنده
فلا اتعداه مثلا ان يقول شفعتك فيمن اخل بالجماعة ثم فيمن اخل بالصلاة
ثم فيمن شرب الخمر ثم فيمن زنا وهكذا على هذا الاسلوب • والذي يدل
سياق الاخبار انا المراد به تفصيل مراتب المخرجين في الاعمال الصالحة
كما وقع عند احمد عن يحيى القطان عن سعيد بن ابي عروبة • وفي رواية ثابت
عند احمد فاقول اي رب امتي امتي فيقول اخرج من كان في قلبه
مثقال شعيرة ثم حبة خردل فذلك المقام المحمود • وفي رواية
ابي سعيد عند مسلم ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير

قال

قال القاضي عياض قيل معنى الخيرا اليقين واما قوله في رواية انس عند البخاري
فاخرجهم من النار فقال الداودي كان راوي هذا الحديث ركب شيئا على غير اصله
وذلك ان اول الحديث ذكر الشفاعة في الاراحة من كرب الموقف وفي اخره
ذكر الشفاعة في الاخراج من النار يعني وذلك انما يكون بعد التحول من الموقف
والمرور على الصراط وسقوط من يسقط في تلك الحالة في النار ثم يقع بعد ذلك
الشفاعة في الاخراج وهو اشكال قوي • وقد اجاب عنه النووي ومن قبله
القاضي عياض بانه قد وقع في حديث حذيفة وابي هريرة فيأتون محمدا فيقوم
ويؤذن له في الشفاعة ونرسل معه الامانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط
يمينا وشمالا اي يقفان في ناحيتي الصراط قال القاضي عياض فبهذا ينفصل
الكلام لان الشفاعة التي لجأ الناس اليه فيها هي لاراحة الناس من كرب الموقف
ثم تجيء الشفاعة في الاخراج انتهى • والمعنى في قيام الامانة والرحم انهما لعظم
شانهما وفخامة ما يلزم العباد من رعاية حقهما يوقفان للامين والخائن
والواصل والقاطع فيحاجان عن المحق ويشهدان على المبطل • وقد وقع في
حديث ابي هريرة بعد ذكر الجمع في الموقف الامر باتباع كل امة ما كانت تعبد
ثم يميز المنافقين من المؤمنين ثم يحلو الشفاعة بعد وضع الصراط والمرور
عليه فكان الامر باتباع كل امة ما كانت تعبد هو اول فصل القضاء والاراحة
من كرب الموقف • ولهذا تجتمع متون الاحاديث وتترتب معانيها انتهى فظهر
انه ليس صلى الله عليه وسلم اول ما يشفع ليقضي بين الخلق وان الشفاعة فيمن تخرج
من النار ممن سقط تقع بعد ذلك وانا لعرض والميزان • وتطاير الصحف يقع
في هذا الموطن ثم ينادي ليتبع كل امة ما كانت تعبد فتسقط الكفار في النار
ثم يميز بين المؤمنين والمنافقين بالامتحان بالسجود عند كشف الساق ثم يؤذن
في نصب الصراط والمرور عليه فيطفأ نور المنافقين فيسقطون في النار ايضا
ويمر المؤمنون عليه الى الجنة • فمن العصاة من يسقط ويوقف بعض من نجا عند القنطرة
للمقاصصة بينهم ثم يدخلون الجنة وقد قال النووي ومن قبله القاضي عياض الشفاعات
خمس الاولى في الاراحة من هول الموقف الثانية في ادخال قوم الجنة بغير حساب
الثالثة في ادخال قوم حوسبوا واستحقوا العذاب ان لا يعذبوا الرابعة في اخراج
من ادخل النار من العصاة الخامسة في رفع الدرجات انتهى فاما الاولى
وهي انما راحة الناس من هول الموقف فيدل عليها حديث ابي هريرة وغيره
المتقدم وحديث انس عند البخاري ولفظه يجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون